

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجْمَةٍ وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ ، فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعُفٌ شَدِيدٌ وَجُهِدَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ آوَى : مَا بِأَلْكَ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ . قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ؟ قَالَ : هَذَا الْجَرَبُ الَّذِي قَدْ أَجْهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأَذْنَاهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : مَا أَيْسَرَ هَذَا ، وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانٍ كَذَا حِمَارًا وَأَنَا آتِيكَ بِهِ ، ثُمَّ دَلَفَ إِلَى الْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَالِي أَرَاكَ مَهْزُولًا؟ قَالَ : مَا يُطْعِمُنِي صَاحِبِي شَيْئًا. فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرْضَى الْمَقَامَ مَعَهُ عَلَى هَذَا الْحَالِ؟ قَالَ : مَالِي حِيلَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضُرَّ بِي إِنْسَانٌ فَكَدَّنِي وَأَجَاعَنِي . قَالَ ابْنُ آوَى : فَأَنَا أَذْكَ عَلَى مَكَانٍ مَعَزُولٍ عَنِ النَّاسِ لَا يَمُرُّ بِهِ إِنْسَانٌ ، خَصِيبِ الْمَرْعَى لَمْ تَرَ عَيْنَ مِثْلِهِ خَصِيبًا. قَالَ الْحِمَارُ : وَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُ؟ فَاَنْطَلَقَ بِنَا إِلَيْهِ. فَاَنْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ الْأَسَدِ وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوَى وَدَخَلَ الْغَابَةَ عَلَى الْأَسَدِ وَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ الْحِمَارِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يَثْبَعَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ ، وَتَخَلَّصَ الْحِمَارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلَعًا عَلَى وَجْهِهِ. فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِمَارِ ، قَالَ : يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ أَعْجَزْتَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي أَبَدًا فَمَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى عَلَيْكَ ، اعْتَادْتَ أَنْ تَعْتَدِيَ عَلَى أَشْبَالِهِ ، وَاسْمَحْ لَكَ أَنْ تَشَارَكَهُ السَّكَنُ فِي الْغَابَةِ ، تَرَعَى وَتَمْرَحُ وَتَذْهَبُ فِيهَا أَنَّى شِئْتَ ! فَلَمَّا سَمِعَ الْحِمَارُ ذَلِكَ إِطْمَأَنَّ وَنَهَقَ وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَسَدِ ، فَسَبَقَهُ ابْنُ آوَى وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ : اسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتَهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكَنَّكَ الضَّعْفُ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِيَ أَبَدًا فَجَاشَ جَاشُ الْأَسَدِ لِتَحْرِيطِ ابْنِ آوَى لَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ الْحِمَارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بَوْتِيَّةٌ افْتَرَسَتْهَا . ثُمَّ قَالَ : قَدْ ذَكَرْتَ الْأَطْبَاءَ أَنَّهُ لَا يُوْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الْغُسْلِ وَالطُّهُورِ فَاحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَأَكْلَ قَلْبِهِ وَأَذُنَيْهِ وَأَتْرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ قُوْتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ الْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ابْنُ آوَى إِلَى الْحِمَارِ فَأَكْلَ قَلْبَهُ وَأَذُنَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَتَطَيَّرَ الْأَسَدُ مِنْهُ يَأْكُلُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِابْنِ آوَى : أَئِنَّ قَلْبُ الْحِمَارِ وَأَذْنَاهُ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : أَوْلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأَذْنَانِ لَمْ يَرْجِعِ إِلَيْكَ بَعْدَ مَا أَفْلَتَ وَنَجَا مِنَ الْهَلَكَةِ.